

دراسة تطبيقية



بقلم: إبراهيم سعيان
مصر

خصائص القصة القصيرة الإسلامية

يلتزم الأدب الإسلامي بالرؤية الإسلامية وعادات وتقاليد المجتمع، وهذا الالتزام لا يحد من حرية المبدع، ولا يحد من خياله، ولكنه ينظمها بشكل متوازن مؤثر في بناء الشخصية الإسلامية بناء متوازنا يتطابق فيها القول مع العمل، في صورة واقعية بعيدا عن الخيال الجامح الذي يخلق بصاحبه في فضاء لا نهائي، مما يصيبه بخيبة الأمل عندما يكتشف أنه يقبض على سراب.

وقد تحدد هذا المنهج الإسلامي في قول الله سبحانه وتعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاؤون﴾ * ألم تر أنهم في كل واد يهيمون * وأنهم يقولون ما لا يفعلون * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعدما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون * (الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧).

وفي قوله تعالى: ﴿ألم تركب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء * تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون﴾ * ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار * يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * (إبراهيم: ٢٤-٢٧).

بهذا يحدد المنهج الإسلامي السبيل لخلود الأدب في الأمرين:
١- الالتزام بالواقعية والابتعاد عن الخيال السلبي ذي الأثر السيئ على الشخصية الإسلامية.

٢- أن يكون أدبا هادفا متضمنا القيم الدينية والخلقية ومراعاة عادات وتقاليد المجتمع.

ويضرب الله لنا المثل الأعلى في قصص القرآن الكريم: في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ (يوسف: ٣)، والمقصود بالحسن هنا هو اكتمال القصة معالجة وفكرا ولغة، ولنا في قصة «يوسف» خير مثال، فهي تعالج موقفا حساسا، يحتاج إلى معالجة خاصة لا تخدش حياة المتلقي، فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَأَوْتَهُ فِي بَيْتِهِ إِذْ رَبَّىٰ أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ﴾ * ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه كذلك لتصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلصين * واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر وألفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن أو عذاب أليم * (يوسف: ٢٣-٢٥).

لننظر إلى الوضوح الشفاف، وإلى الإيجاز والتركيز والتلميح والإيحاء، لننظر إلى حسن اختيار الألفاظ غير الجارحة أو الخادشة لحياة القراء، لننظر إلى وصف الصراع بين الشخصيتين، بين الخير والشر، بين امرأة العزيز (الخطيئة) ويوسف (الطهارة والنقاء) وانتصاره على نفسه وضبطها من الوقوع في الخطيئة، إنها قصة نفسية تصور الصراع بين الإخوة للحصول على حب الوالدين.. والغيرة من تفضيل الوالد ابنا من أبنائه عليهم.

ولنضرب مثالا آخر من القصص القرآني عن موسى عليه السلام الذي وعد الله سبحانه وتعالى والدته بإعادته إليها سليما معافى وعاد إليها ابنا وسعدت به فيقول الله سبحانه وتعالى: ﴿طَسَمَ﴾ * تلك آيات الكتاب المبين * نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون * إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحيي نساءهم إنه كان من المفسدين * ونريد أن نمّن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون * وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين * فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدوا وحزنا إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين * وقالت امرأة فرعون قرت عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا وهم لا يشعرون * وأصبح فرعون أم موسى فارغا إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين * وقالت لأخته قصيه فبصرت به عن جنب وهم لا يشعرون * وحرمانا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون * فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون * (القصص: ١-١٣).

تشتمل قصة موسى على مواقف عديدة، يمثل كل موقف مرحلة من مراحل حياته، ويمكن القول إن كل موقف يمثل قصة قصيرة يربطها جميعها الشخصية الرئيسية وهي موسى حيث يمثل المحور الأساسي الذي تدور عليه القصة، ويعتبر الموقف الذي ذكرته سابقا

من بدايته إلى نهايته قصة قصيرة مستوفاة الشروط فهي تبدأ ببيان الوضع الاجتماعي في عصر موسى وقوة فرعون وظلمه الذي وصل إلى ذبح جميع الأطفال حتى لا يخرج طفل يهدده، وصف خوف أم موسى على وليدها، وعد الله لها بإعادته إليها وقد صدق وعده وسعدت أم موسى بابنها.

فنجدها أيضا التركيز حيث وصف عصر فرعون الاجتماعي والسياسي في كلمات قليلة، ثم واقعية اللغة ودلالاتها الفنية كما نرى في كلمة (قصيه) التي تغني عن ذكر كلمات كثيرة لشرح ما تطلبه أم موسى من ابنتها.

ويتضح ذلك في قصة «أم موسى» (١) لسعاد عبدالله الناصر (أم سلمى) فقد اعتمدت على النص القرآني كما هو ولكن بتصوير أشمل لما أوجزه الأداء القرآني، فوصفت حالة الذعر التي عاشها الناس خوفا وجزعا من قتل أبنائهم، وعاشت الأحياء أياما طوالا مليئة بالقهر والحزن والألم، والمئات من الأطفال تذبح أمام أعين الآباء والأمهات الذين لم يكونوا يستطيعون التفوه بكلمة واحدة احتجاجا على الظلم والعدوان بل بعض الأحياء كان الجنود يمنعون الأمهات من مجرد الصراخ والبكاء على أطفالهن.

ولنقرأ وصفها لأم موسى طوال حملها وما كانت تشعر به من ذعر وخوف، «استمر ذعرها طوال حملها يستبدها أكثر كلما سمعت أقدام الجنود وهم يبحثون عن المواليد الجدد، ويتقطر قلبها أسى كلما وخر سمعها صرخات الأمهات وهي تنوح وتتعالى وتتجه نحو السماء متتالية، ممتدة، تستند، تتضرع، وتشد زوجة عمران فوق بطنها إزارا من الكتان حتى لا يظهر عليها الانتفاخ كلما اضطرت للخروج من منزلها، وكانت أصداء الصرخات تتردد في نومها وتتضخم وتسري بين الأحياء الضيقة وجدران البيوت، فتفريق من نومها وقلبها يدق وينزف وينذر بمزيد من العذاب والألم» (٢).

فالكتابة مع التزامها بالأحداث كما جاءت في النص القرآني أنها أفاضت في الوصف والتعليق وشرح ما أوجزه الأداء القرآني المعجز وتصوير الصراع النفسي الذي تعانته أم موسى خوفا على وليدها من فرعون وكيف اطمأن قلبها المؤمن لتلقاها في الله سبحانه وتعالى الذي وعدها بإعادته إليها لتقر عينها وقد تحقق الوعد، واطمأن فرعون أم موسى.

الخصائص الفنية للقصة القصيرة الإسلامية هي:

١- مضمون هادف يدعو إلى قيم الحق والخير والإيمان من منظور إسلامي.

٢- التزام الواقعية والبعد عن الخيال المبالغ فيه فيؤثر في المتلقي تأثيراً سلبياً.

٣- المعالجة الفنية المعاصرة المتطابقة مع تطور تقنية القصة في العصر الحديث، مع الحرص على أن تكون معالجة منطقية مقنعة للمتلقي.

٤- رسم الشخصيات رسماً دقيقاً مقنعاً في سلوكها باعتبارها شخصيات تحمل رؤية إيمانية إسلامية.

٥- الحرص على استخدام اللغة النظيفة النقية، والصور الفنية الراقية والبعد عن إثارة شهوات المتلقين بالتعبير الجنسية الهابطة والألفاظ المسفة باسم الواقعية الرديئة التي تقتضي، كما يتصور أصحابها استنطاق الشخصيات حسب مستواها العلمي والتعليمي، وهذا ما يدفعهم إلى استخدام اللهجة العامية ليس في الحوار فقط ولكن في السرد أيضا مما دفع المغالين من مثل هؤلاء الكتاب إلى كتابة الدراسات النقدية باللهجة العامية بل كتابة الروايات أيضا مثل

رواية لبن العصفور ليوسف القعيد.

٦- الحرص على كتابة القصة سردا وحوارا باللغة العربية الفصحى.

٧- الاستفادة من التراث الديني والتاريخ الإسلامي الزاخر بأقاصيص البطولات والتضحيات من أجل الإسلام حبا في الله، وفي رسوله، والتضمين من القرآن الكريم والأحاديث النبوية.

النماذج القصصية قراءة وتحليل:

القصة القصيرة الإسلامية مثل بقية الأجناس الأدبية الإسلامية تتناول الموضوعات التالية:

١- القضايا الدينية بأسلوب فني جذاب بعيدا عن الوعظ والمباشرة والهاثف لغرس العقيدة الصحيحة في نفوس الشباب، وتوجيههم التوجيه الصحيح بعيدا عن التطرف والسطحية.

٢- القضايا الاجتماعية بصورها المختلفة.

٣- القضايا العاطفية بأسلوب فني يحترم مشاعر المتلقي، فلا يجرحها ولا يستثير الغرائز بالابتذال.

وتستقي القصة القصيرة الإسلامية من المصادر التالية:

١- القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف استيعاء أو تضمينا.

٢- إعادة صياغة للقصة القرآنية مع شرح ما أوجزه الأداء القرآني.

٣- التاريخ الإسلامي الزاخر بقصص البطولة والفداء من أجل الدين والوطن.

٤- العادات والتقاليد.

٥- من الحياة اليومية ومشاكلها الاجتماعية والنفسية والعاطفية من منظور إسلامي يأخذ بيد الإنسان إلى الطريق السوي ليكون إنسانا قويا.

القرآن الكريم وإعادة صياغة:

١- من القصص التي استوحى الكاتب القرآن الكريم، واستفاد منه بإعادة صياغة القصة مع شرح ما أوجزه الأداء القرآني، وتفسير رموزه، ودلالات الألفاظ، قصة «أم موسى» لسعاد عبدالله الناصر (أم سلمى)، وقد مضى الحديث عنها في أول الدراسة، لقد

وصفت الكاتبة معاناة أم موسى ساعة الولادة وتوترها النفسي خوفا على وليدها من القتل، وقد ضمنت الكاتبة القصة بعض الآيات القرآنية.

من التاريخ الإسلامي قديما وحديثا:

٢- ومن القصص المستمدة من التاريخ الإسلامي قصة «كلمة حق عند سلطان جائر» (٣) لخليفة بن عربي، وهي تدور حول كرامة العلماء، وعزتهم في قول الحق عند السلطان دون خوف، وقد استفاد الكاتب من موقف الإمام الأوزاعي مع الخليفة عبدالله بن علي، فيصف ظلم الخليفة وخوف الناس وبعض العلماء منه مما يدفعهم إلى موافقة آرائه خوفا من السيف، لكن الإمام الأوزاعي، عندما دعي لمقابلة الخليفة، ذهب مسلحا بإيمانه القوي بعلمه وبشجاعته فكان

*** يحدد المنهج الإسلامي السبيل لخلود الأدب بأمرين، هما الالتزام بالواقعية وأن يكون أدبا هادفا**

*** امتد اهتمام الأدب الإسلامي إلى قضايا الإنسان اليومية وعالجها من منظور إسلامي**

صريحا في إجاباته غير مهتم بغضب الخليفة الذي قد يامر بقطع رقبته في أية لحظة، ولكن الخليفة عفا عن الإمام الأوزاعي، والكاتب يهدف من ذلك إلى القول بأن الخليفة أحترم في الإمام صدقه ونظافته وشجاعته واحترامه لنفسه.

والقصة سردية وصف فيها الكاتب شخصية الخليفة، وشخصية الإمام بأسلوب عربي فيه سلاسة. وحرص الكاتب أيضا على أن يكون الحوار باللغة العربية السهلة، كما ضمن الكاتب القصة بعض الآيات القرآنية لتعميق الموقف وإكسابه دلالات أشمل.

وفي قصة «العالم السعيد» (٤) لمحمد المجذوب، يستمد من التاريخ الإسلامي أيام دعوة النبي عليه الصلاة والسلام قريشا للإسلام، التقط الكاتب موقفا من المواقف المؤثرة، مبرز الصراع النفسي الذي يعانيه بطل القصة «فضالة»

الذي يستعيد مواقف النبي صلى الله عليه وسلم وسلوكه مع الناس وما فيه من تسامح ومحبة وصدق وأمانة حتى لقب بالأمين، ثم ما يليث أن يتذكر أهله القتل في المعارك بين المسلمين والكفار وسخرية فئاته منه ومن هزيمتهم أمام جيش المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم وتسأله عن سبب انتصار المسلمين عليهم فجيبها «اسمعي يا هذه.. إنهم حقاً رجال.. ولكنهم يحبون الموت كما يحب غيرهم الحياة.. إنهم يؤمنون بوجود آخر فيه الخلود والنعيم، وما لا عين رأت ولا أذن سمعت.. فهم يقتحمون عدوهم للوصول إلى ذلك العالم السعيد.. أما نحن فنقاتل للسمعة، ونحن موقنون أن ليس لنا سوى هذه الحياة القصيرة.. وشتان بين الفريقين».

ويؤكد الكاتب على العنصر الإيماني عند الإنسان الذي يمدّه بالقوة والصلابة والثبات والتضحية حتى أن جيش المسلمين البالغ المئات يهزم جيش الكفار البالغ آلاف. يستغل الكاتب الحالة النفسية القلقة التي تدفعه إلى التفكير في الفرق بين الحالين: حال المسلمين وحال الكفار، ويعمق الكاتب التساؤل بحثاً عن الحقيقة، ويبرز السؤال الذي يزلزله عن الرسول صلى الله

عليه وسلم «اليس هو الذي أجمعت قريش على تسميته بالصادق الأمين؟.. وماذا أحدث لها من أذى حتى تجمع على حربه؟ أكل ذنبه أنه يدعوها إلى عبادة الله وحده، وخلع كل ما دونه من هذه الأوثان.. هذه الدمى التي لم تقدر على حماية نفسها.. فراح تساقط على وجوهها من أعلى جدران الكعبة».

ويكون لكلمة الرسول صلى الله عليه وسلم عندما دخل مكة منتصرا «انهبوا فأنتم الطلقاء» أثر كبير يؤثر فيه «وتفاعل أصداء هذه الكلمة في خياله فإذا هناك مشاهد الكنائس الزاحقة تحت رايات محمد وقد أحاطت بأرجاء مكة، وأطبقت على مشارف الطرق فلا مفر لأحد من قبضتها، ومع ذلك، ومع قدرته المطلقة على البطش بخصومه الذين

أكرهوه على مفارقة مكة.. لم يفعل شيئاً سوى حمايتهم من كل كرب، ثم إبلاغهم أسمى مشاعر الرحمة في هذا القرار العظيم: «أذهبوا فأنتم الطلقاء» وتزلزل كيانه هذه الكلمات فيصرخ «لا: لا.. إني سأظل أكره محمداً.. ولن أسمح لهذه الأفكار الغربية بأن تقلل من بغضي إياه».

ويستمر في التفكير والمقارنة حتى يؤمن أخيراً بالنبي عليه الصلاة والسلام بعد أن التقى بالنبي صلى الله عليه وسلم في الكعبة ويضع يده على صدره ثم لم يكده يرفعها حتى أحس فضالة أن كل شيء في وجوده قد تغير، وأنه منذ الساعة قد بدأ يطل على مشارف العالم السعيد..

وقد ختم الكاتب القصة بنهاية غير مباشرة يفهم منها أنه آمن عندما ردد بيت الشعر حينما نادته صاحبه:

هلم إلى الحديث فقلت لا يابى عليك الله والإسلام

في أسلوب سردي جذاب شائق أدار الكاتب الصراع النفسي الذي يعاينه «فضالة» الشخصية الرئيسية في القصة، في هدوء مقدما الدليل تلو الدليل الذي يرجح كفة النبي صلى الله عليه وسلم، ويقنع «فضالة» إقناعاً حقيقياً لا يتغير ولا يتبدل، وشخصية «فضالة» شخصية متطورة رسمها الكاتب بدقة حتى يكون تغيره منطقياً، لا تغيراً مفاجئاً ما يلبث أن يتزعزع. وعنوان القصة يرتبط بموضوعها حيث النهاية السعيدة لبطل القصة.

ومن التاريخ الإسلامي الحديث استمد الكاتب محمد علي وهبة قصته «شعاع الأمل» (٥)، والقصة تدور حول الحرب الأفغانية ضد الروس، وفيها يصور الكاتب نضال الشعب الأفغاني ضد الإلحاد وانتصارهم بعون الله سبحانه وتعالى، وبإصرارهم على الشهادة، كما يصور الكاتب مرحلة النضال لبناء وطنهم، وإزالة آثار الحرب وهذا هو الجهاد الأكبر الذي يواجهه الأفغانيون بإيمانهم القوي وإصرارهم على العيش بكرامة وجيب الأب ابنته عن تساؤلاتها عن أسباب الحرب.

«لماذا كانوا يحاربوننا يا أبي؟

«اغلق الكتاب، وهو يفكر في سؤالها، لم يجد إجابة جاهزة في رأسه، ظل يبتسم لها، وهو يحاول إيجاد كلمات مناسبة لعقلها، ثم قال: «إنهم لا يخافون الله.

لماذا لا يخافونه؟

«لأنهم لا يؤمنون به.

«وأضاف وابتسامته تتسع:

لذلك انتصرنا عليهم بفضل الله».

وقد أنهى الكاتب القصة نهاية مستبشرة بالمستقبل صاغها الكاتب صياغة رمزية: «كان يتهاى ليقول له في ابتهاج الصبح الجديد: هيا نبداً جهادنا الأكبر لكنه أحس برعشة منعشة تنساب في قلبه، اختفت معها الكلمات في حلقه، مع ارتعاش دمعتين مبهجتين ببشائر الخير في عينيه».

من الحياة اليومية:

لم يقف الأدب الإسلامي عند الاستفادة من التراث الديني والتاريخي الإسلامي، بل امتد اهتمامه إلى قضايا الإنسان اليومية

التي يعايشها ويعالجها من منظور إسلامي، بعرض القضية ومناقشتها وتحليلها، وتقديم الحلول المنطقية المقنعة التي تخاطب القلب والعقل معاً، وتغرس في نفوس المتلقين الاطمئنان والثقة في المستقبل مع التمسك بإيمانه وثقته في الله سبحانه وتعالى، ويؤمن أيضاً بأن كل شيء بيد الله سبحانه وتعالى.

ففى قصة الأجل (٦) للدكتور عودة الله منبع القيسي، يؤكد الكاتب على أن الموت والحياة بأمر الله سبحانه وتعالى، وأن الموت لا يرتبط بمرض أو بسن صغير أو كبير، ولكنه قضاء الله يأتي في أية لحظة.

فالشخصية الرئيسية شخصية متطورة أي تتغير من السلبية إلى الإيجابية ولم يأت هذا التغير عفواً دون مبررات غير منطقية ولكن الكاتب صاحب الشخصية في حالاتها المختلفة، وقدم الأسباب سبباً وراء سبب لإحداث ذلك مع إتاحة فرصة للتفكير ليكون التغيير الجديد تغييراً جاداً حدث عن إقناع عقلي وقلبي.

إن القارئ يشعر بأن هذه الشخصية شخصية حية يشاركها حيرتها وقلقها، وشجاعتها، وقد استطاع الكاتب أن يغوص في نفسية الشخصية مفتشاً فيها عن ذكرياته، وقد استغل الكاتب كل الأسباب النفسية والدينية والذكرات والأهل كعناصر تساعده الشخصية على التغيير، وتساعد أيضاً على تعميق الفكرة.

أما قصة «اللقاء السعيد» (٧) لمحمد المجذوب فيعالج فيها الكاتب قضية المهاجرين إلى أمريكا، وتأثير الحضارة الغربية على الضعفاء منهم وكيف تسحقهم وتمحو شخصيتهم ودينهم، يذهب «محمود» بعد استئذان أمه التي تولت تربيته تربية دينية أصيلة في الذهاب إلى أمريكا للدراسة والعمل والبحث عن والده الذي هاجر، ولم يعد إليهم.. يلتقي محمود بوالده ويستقبله استقبالا حاراً، ويقوم معه، وبعد فترة قصيرة دب الخلاف بين الوالد وابنه، فالوالد يريد أن يغير ابنه شكله فيحلق لحيته، ويغير سلوكه المتدين فيذهب معه إلى الملاهي.. هنا تذكر محمود كلمات أمه وهي تودعه: «أنت موضع ثقتي يا محمود.. ولكنها أميركة يا بني.. التي تجر العالم إلى الدمار حتى هؤلاء الذين تشير إليهم.. كم نسبة الذين ثبتوا منهم على مقوماتهم الإسلامية!.. ألم تر... ألم تسمع ما يفعل وما يقول أكثر هؤلاء الذين عادوا من أميركة محملين بجراثيم الكفر والفسوق والهرق».

محمود شخصية ثابتة متمسكة بدينها مما أكسبها قوة على تحدي مغريات أمريكا المستترة التي سحقت والده، كما أنه يوجد ارتباط بين العنوان وأحداث القصة، فالنهاية كانت سعيدة لكل فرد في الأسرة، وذلك بإيمانها القوي الذي اعتمد عليه الكاتب في المحافظة على الشخصيات السوية، وتلاحظ أيضاً تضمين القصة بالآيات القرآنية.

ويمكننا الوصول مما استعرضناه سابقاً بإيجاز إلى:

١- القصة الإسلامية بل الأدب الإسلامي كله تعالج قضايا الإنسان الاجتماعية والسياسية والفكرية والعاطفية معالجة واقعية بأسلوب مقنع بعيداً عن الخيال الجامع المريض الذي يصيب الإنسان بالتوتر العصبي واليأس لعجزه عن تحقيق ما في الخيال على أرض الواقع، وقد بين ذلك الدكتور شوقي عبدالحليم حمادة في تقديمه لمجموعة «اللقاء السعيد» لمحمد المجذوب أن القصة القصيرة تخلصت

